استعمالات (كيف) في القرآن الكريم "دراسة نحوية وإحصائية"

إعداد

د. رضيَّة بنت حسن وجيه با حميد

أستاذ مساعد بقسم المواد العامة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية-

جامعة الملك عبد العزيز بجدة - المملكة العربية السعودية

استعمالات (كيف) في القرآن الكريم "دراسة نحوية وإحصائية"

رضيَّة بنت حسن وجيه باحميد
قسم المواد العامة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك عبد العزيز بجدة - المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: rbahmed@kau.edu.sa

ملخص البحث:
الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيدنا ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وبعد، فهذا بحث يتناول استعمالاتِ (كيف) في القرآن الكريم، ودراستَها دراسةً نحويةً وإحصائية يتجلى فيها الإعجازُ اللغوي، فالقرآن العظيم أهم ما يتعلق به المسلمون فيتسابقون إلى قراءتِهِ، وفهمِهِ، وتذوقِ معانيه. ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على بعض الآيات الواردة فيها كلمة (كيف) في القرآن الكريم. ودراسة كلمة (كيف) دراسة تطبيقيَّة تبرز معانيها وأحكامها، وأنماط الجمل التي ترد فيها، وأسرار التعبير بها دون غيرها، وتطبيق ذلك على القرآن الكريم. وبيان أثر كلمة (كيف) في الدَّرس النَّحوي. وإنَّ المنهج الذي يتناسب مع هذه الدِّراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، ويتلخص منهج العمل في جانبين: أولا: الجانب النَّظري: ويتمثل في جمع ما ذكره النُّحاة عن كلمة (كيف) معنى واستعمالا. وثانيا: الجانب التَّطبيقي: ويتمثل في النَّظر في الأساليب التي وردت فيها كلمة (كيف) في القرآن الكريم، وما ذكره المفسرون والنُّحاة في معانيها في هذه الآيات. ومن ثم انتهى البحث إلى ترجيح أن تكون كلمة (كيف) اسمًا، وليس حرفًا، ولا فعلا، وكذلك إثبات الصَّدارة لكلمة (كيف) من خلال عرض آراء النُّحاة، بالإضافة إلى كثرة استخدام (كيف) استفهامية في القرآن الكريم سواء كان الاستفهام حقيقيًا أو مجازيًا، وقلة استعمالها شرطية في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: كيف- الاستفهامية- الشرطية- الصَّدارة- معاني (كيف).

Uses of 'How' In Holy Quran: A grammatical Study and Statistic

Radia bint Hassan Wajih Bahmid
Department of General Subjects - College of Arts and Humanities - King's University
Abdul Aziz in Jeddah - Kingdom of Saudi Arabia
Email: rbahmed@kau.edu.sa

Abstract:

This study is mainly concerned with the uses of 'How' in the Holy Quran; and its study in terms of grammar and statistic where the linguistic miraculous nature clearly emerges. As a matter of fact, the Holy Quran is the most significant to which Muslims are attached as they compete among them to read, understand and appreciate its meanings and senses. This study aims to identify a number of verses where the word 'How' is mentioned in the Holy Quran; and further investigate the applied use(s) of the said word that would render its senses and provisions stand out. It would further investigate the patterns of sentences where the word 'How' may appear; fathom the secrets of expression and apply so to the Holy Quran; and demonstrate the effect of the word 'How' in the grammatical lesson. To this aim, the researcher perceived that the approach most appropriate to this study is the analytical descriptive approach. Work Plan of the study is summarized in two aspects. Aspect I is the theoretical side, which provides all what mentioned by grammarians about the word 'How' in both sense and use. Aspect II is the applied side, which demonstrates and investigates the styles where the word 'How' used in the Holy Quran, in addition to what narrated by interpreters and grammarians about its senses in these verses. Eventually, the study concluded that the word 'How' would most probably be classified as a noun, rather than preposition or verb, as well as proving the primacy of the word 'How' by presenting the opinions of the grammarians, in addition to the frequent use of interrogative 'How' in the Holy Qur'an, whether the question is real or figurative, and its lack of conditional use in the Holy Qur'an.

Keywords: How- Interrogative- Conditional- Primacy- Senses of 'How'

المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرا.

أمَّا بعدُ، فإنَّ علمَ النَّحو من أهم العلوم وأجلِّها، فهو أولاً وقبل كلِّ شيء وثيقُ الصِّلة بالقرآنِ الكريمِ الذي أنزله اللهُ على نبيه محمدٍ بن عبدِ الله –صلى الله عليه وسلم–، وجعله دستورَنا الذي نسيرُ عليه، وأنزله اللهُ –سبحانه وتعالى– باللُّغةِ العربيَّةِ تكريمًا وتشريفًا لها على سائرِ اللُّغاتِ.

فعلماء النَّحو اهتموا بهذا العلم، واستنبطوا قواعدَه من القرآن الكريم، وما صحَّ من كلام العرب شعرًا ونثرًا. وتعاقبت طوائفُ النُّحاةِ، وتوالت زُمَرُهم في ميدانه، وتسابقوا مخلصين دائبين في إقامة صرحه، وتشييد أركانه، فأقامُوهُ سامِقَ البناءِ، وطيدَ الدعائمِ، حتى وصل إلينا على أكملِ وجه وأتمِّ صورةٍ.

وعلينا أن نسير على نهج أسلافِنا السابقين، وأن نُكملَ مسيرتَهم العلمية، ونُعنَى بهذا التراث العظيم الذي تركوه لنا، وأن نُحافظَ عليه، وأن نقومَ به خيرَ قيامٍ.

ولما كانت أكثر الدِّراسات تتجه للجانب النَّظري وتقرير القواعد حاولت جهدي أن أتجه بهذه الدِّراسة إلى الجانب التَّطبيقي، وأفضل نص بين أيدينا هو كتاب الله؛ فاخترتُ كلمة (كيف) لكثرة ورودها فيه، وتعدد آراء النُّحاة والمفسرين في معانيها، ومن هنا جاء عنوان هذا الموضوع: **استعمالات (كيف) في القرآن الكريم "دراسة نحويَّة وإحصائية"**.

وتتجلى أهمية هذا البحث في أنني لم أقف فيما اطلعت عليه من أبحاث أو دراسات على بحثٍ قام بهذه الدِّراسة الخاصة بكلمة (كيف)، واستعمالاتها في القرآن الكريم.

ولكنَّ كانت هناك دراسات حديثة كثيرة في القرآن الكريم لحروف الاستفهام، من أهمها:

١- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، عبد العليم السيد فودة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، (١٣٧٢هـ).

٢- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، بسيوني عبد الفتاح فيود، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة.

٣- أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شريف، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، (٢٠٠٦/٢٠٠٧م).

فهذا البحث يتناول استعمالاتِ (كيف) في القرآن الكريم، ودراستَها دراسةً نحويةً يتجلى فيها الإعجازُ اللغوي، وهو موضوعٌ جديرٌ بالدراسةِ، وحقلٌ خصبٌ، يحتاج إلى من يرتادُه، ويكشفُ عن أبعادِهِ، ويحسنُ الإفادةَ من عطائه. فالقرآن العظيم أهم ما يتعلق به المسلمون فيتسابقون إلى قراءتِهِ، وفهمِهِ، وتذوقِ معانيه. وقد قامت دراساتٌ عديدةٌ تخدمُ القرآنَ الكريمَ، من لغةٍ، ونحوٍ، وصرفٍ، وبلاغةٍ.

ومن هذا المنطلق جعلتُ المحورَ الأساسَ الذي أدورُ فيه هو (القرآن الكريم)، لعلي أستطيعُ أن أواكب الدِّراساتِ السَّابقةِ، وأُضيفَ إليها.

ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على بعض الآيات الواردة فيها كلمة (كيف) في القرآن الكريم. ودراسة كلمة (كيف) دراسة تطبيقيَّة تبرز معانيها وأحكامها، وأنماط الجمل التي ترد فيها، وأسرار التعبير بها دون غيرها، وتطبيق ذلك على القرآن الكريم. وبيان أثر كلمة (كيف) في الدَّرس النَّحوي.

وإنَّ المنهج الذي يتناسب مع هذه الدِّراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، ويتلخص منهج العمل في جانبين: أولا: الجانب النَّظري: ويتمثل في جمع ما ذكره النُّحاة عن كلمة (كيف) معنى واستعمالا. وثانيا: الجانب التَّطبيقي: ويتمثل في النَّظر في الأساليب التي وردت فيها كلمة (كيف) في القرآن الكريم، وما ذكره المفسرون والنُّحاة في معانيها في هذه الآيات.

وقد حرصتُ في كلِّ البحث على إحالة الأقوال إلى مصادرها، وتخريج الآراء من مؤلفات أصحابها ما أمكن واعتمدت الدِّراسة على جملةٍ من المراجع، بدءًا بكتاب سيبويه ثمّ أمهات كتب النحو، وكتب التفسير.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يأتي البحث في فصلين تسبقهما مقدمة.

ثمَّ **الفصل الأول** بعنوان: كلمة (كيف) دلالتها واستعمالاتها عند النُّحاة، وفيه المباحث الآتية:

المبحث الأول: ماهية كلمة (كيف).

المبحث الثاني: استعمالات (كيف)، ومعانيها.

المبحث الثالث: الموقع الإعرابي لـ(كيف) عند النُّحاة.

ثمَّ **الفصل الثاني** بعنوان: الدِّراسة التَّطبيقية على كلمة (كيف) في القرآن الكريم، بذكر الآيات الواردة فيها كلمة (كيف)، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: (كيف) الاستفهامية في القرآن.

المبحث الثاني: (كيف) الشَّرطية في القرآن.

ثم الخاتمة وهي تحوي خلاصة البحث، وأهم النتائج التي توصل إليها.

وأسأل الله أن يكون ما أقدمه من العلم النافع الذي ينفع صاحبه وأسأله التوفيق والسَّداد، إنَّه سميع مجيب.

الفصل الأول :كلمة (كيف) دلالتها واستعمالاتها عند النُّحاة

المبحث الأول: ماهية كلمة (كيف):

اسم استفهام مبني على الفتح، وهو مبني لتضمنه همزة الاستفهام، أي: أَكَيْفَ؟ يُسْأَلُ به عن الأحوال في كلِّ مواقعه وتراكيبه، فيقال: كيف أنت؟ أي: ما حالك؟ كيف وصلت؟ أي: على أيِّ حالٍ وصلت؟ كيف تعاملوا معك؟ كيف كانت مناقشتهم؟.

وفيها لغة أخرى وهي (كي) بحذف الفاء، كما يُقال في (سوف) (سو)[١].

قال الشاعر[٢]:

كي تجنحون إلى سِلْمٍ وما ثُئِرتْ قَتلاكُمُ ولَظَى الهيجَاءِ تَضْطَرِمُ؟[٣]

والاستفهام بـ (كيف) يكون عن النكرة، فلا يكون الجواب إلا نكرة، فيقال في جواب: (كيف أنت؟) صحيح، ولا يقال: الصحيح(٤). وبيَّن الجوهري أنَّ (كيف) اسم مبهم غير متمكن وإنَّما حُرِكَ آخره بالفتح منعًا لالتقاء الساكنين[٥].

وقال ابن مالك: "ولـ (كيف) صدر الكلام كغيرها من أدوات الاستفهام، ولا تخرج من الاستعمال عن أن تكون في موضع نصب على الحال، أو خبر مبتدأ في الحال، أو الأصل إلا ما شَذَّ من نحو جرها بـ(على) في قول بعضهم: (على كيف تبيع الأحمرين [٦])".

---

(١) (ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م، ج١/ ٤٤، وابن يعيش، شرح المفصل، ج٤/ ١١٠).

(٢) قائل البيت غير معروف.

(٣) (ينظر: المرادي، المرجع السابق، ج١/ ٤٤، والبغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ١٩٩٨م، ج٧/ ٩٨).

(٤) (ينظر: الرضي الدين الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٢/ ١١٧).

(٥) (ينظر: الجوهري، مختار الصحاح، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)، ج١/ ٢٤٤، وابن منظور، لسان العرب، ج٩/ ٣١٢).

(٦) الأحمرين اللحم والخمر، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م)، ج١١/ ٧٥. وفي التهذيب في قولهم :(أهلك النساء الأحمران، يعنون الذهب والزعفران)، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ج٥/ ٣٩. وابن مالك، شرح التسهيل، ١٤١٠هـ، ج٤/ ١٠٥.

والاستفهام لا يقع حالا، وإنما الذي يقع حالا وحده (كيف)، ولذلك تبدل منه الحال بإعادة حرف الاستفهام نحو:(كيف ضربت زيدًا، قائمًا أم قاعدًا؟)[١].

واختُلِفَ في اسميتها، فهي اسم عند جمهور النُّحاة، وعلى رأسهم الأخفش والسيرافي[٢]. ويرى سيبويه ومن اتبعه أنها ظرف، قال سيبويه: "وكيف على أي حال"[٣]. وقد ناقش هذا الرأي ابن يعيش وغيره، وأثبتوا مرجوحيته. قال ابن يعيش: "إنها اسم صريح غير ظرف، وإن كان قد يؤدي معناها معنى على أي حال، والذي يدل على ذلك أنك تبدل منها الاسم، فتقول: كيف أنت؟ أصحيح أم سقيم، ويقع الجواب بالاسم، فتقول في جواب من قال كيف أنت؟ صحيح أو سقيم أو نحوهما من أحواله، ولو كانت ظرفا لوقع البدل منها، والجواب عنها بالظرف، على أنه يجوز أن يُجاب عن نحو: على أي حال أنت؟ بـ(صحيح) نظرا إلى المعنى، وإن كان اللفظ يقتضى أن يُقال: على الصحة"[٤].

وقال ابن مالك: "لم يقل أحد إن (كيف) ظرف؛ إذ ليست زمانا ولا مكانا، ولكنها لمَّا كانت تفسر بقولك: على أي حال؛ لكونها سؤالا عن الأحوال العامة سميت ظرفا؛ لأنها في تأويل الجار والمجرور، واسم الظرف يطلق عليهما مجازا"[٥].

وانتصر ابن هشام لاسمية (كيف)، فبعد أن أورد رأي ابن مالك في الموضوع في كتابه المغني قال: "وهو حسن، ويؤيده الإجماع على أنه يقال في

(١) (ينظر: الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ١٤١٤هـ، ج٢/ ٣٢٢).
(٢) (ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج١/ ٢٢٣).
(٣) (سيبويه، الكتاب، ج٣/ ٦٠).
(٤) (ابن يعيش، شرح المفصل، ج٤/ ١٠٩).
(٥) (ابن مالك، شرح التسهيل، ج٤/ ١٠٥).

البدل: كيف أنت؟ أصحيحٌ أم سقيم؟ بالرفع، ولا يبدل المرفوع من المنصوب"[١].

وما ذكره ابن مالك، واستحسنه ابن هشام هو في عبارة الزمخشري في مفصله حيث قال: "كيف جارٍ مجرى الظروف"[٢]. وذكر العكبري أنَّ (كيف) اسم بلا خلاف، وإنما ذُكرت في كتب الخلاف النَّحوي ضمن مسائل الخلاف لخفاء الدليل على كونها اسمًا، وليس لوقوع الخلاف في اسميتها[٣].

والدليل على كونها اسما، من خمسة أشياء[٤]:

- **أحدها:** أنَّها داخلة تحت حد الاسم؛ لأنها تدل على معنى في نفسها، ولا تدل على زمان ذلك المعنى.
- **والثاني:** أنَّها تجاب بالاسم، والجواب على وفق السؤال، وذلك قولهم: (كيف زيد فيقال: صحيح أو مريض أو غني أو فقير)؛ ولأنها سؤال عن الحال، فجوابها ما يكون حالا.
- **والثالث:** أنَّك تبدل منها الاسم فتقول: (كيف زيد أصحيح أم مريض). والبدل هاهنا مع همزة الاستفهام نائب عن قولك: (أصحيح زيد أم مريض)، والبدل يساوي المبدل (منه) في جنسه.
- **والرابع:** أنَّ من العرب من يُدخِل عليها حرف الجر، قالوا: (على كيف تبيع الأحمرين)، وقال بعضهم: (انظر إلى كيف يصنع). وهذا شاذ في الاستعمال، ولكنه يدل على الاسمية.
- **والخامس:** أنَّ دليل السبر[٥]، والتقسيم أوجب كونها اسما، وذلك أن يقال: لا تخلو كيف من أن تكون اسما أو فعلا أو حرفا.

---

(١) (ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج١/ ٢٢٤).

(٢) (الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ١٩٩٣م، ج١/ ٢١٧).

(٣) (ينظر: العكبري، مسائل خلافية في النحو، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، ج١/ ٥٥).

(٤) (ينظر: المرجع السابق، ج١/ ٥٥، ٥٧).

(٥) سبر السبر التجربة سبر الشيء سبرا حزره وخبره، اسبر لي ما عنده أي: اعلمه السبر استخراج كنه الأمر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤/ ٣٤٠.

فكونها حرفا باطل؛ لأنها تفيد مع الاسم الواحد فائدة تامة كقولك: (كيف زيد) والحرف لا ينعقد به وبالاسم جملة مفيدة. وكونها فعلا باطل أيضا لوجهين: أحدهما: أنها لا تدل على حدث وزمان، ولا على الزمان وحده. والثاني: أن الفعل يليها بلا فصل، كقولك: (كيف صنعت)، ولا يكون ذلك في الأفعال إلا أن يكون في الفعل الأول ضمير، كقولك: (أقبل يسرع)، أي: أقبل زيد أو رجل.

وإذا بطل القسمان الحرف والفعل ثبت كونها اسما؛ لأن الأسماء هي الأصول وإذا بطلت الفروع حكم بالأصل. والأرجح قول العكبري في كون (كيف) اسما؛ لما ذكره من أدلة تدل على اسميتها؛ ولأنَّ الحرف لا يخبر به، إذ نجد أن (كيف) في نحو: (كيف أنت؟) وقع خبرًا عن الضمير. وكذلك الفعل لا يدخل على الفعل إلا إذا أريد التوكيد نحو: (قام قام زيد)، ولم يكن بحاجة هنا إلى نفي الفعلية؛ لأنه لم يقل أحد إن (كيف) فعل، أو قد تقع فعلا، وهذا مما يدل على اسميته.

وكون (كيف) من لازم الصَّدر أمرٌ مجمع عليه. وما حكاه الرضي من أن (كيف) قد دخل عليها عامل متقدم فتفقد الصَّدارة وتنسلخ عن الاستفهام نحو ما حكاه قطرب[1].

وقال الرضي: "وأما قولهم: (انظر إلى كيف تصنعُ) فكيف فيه مخرج عن معنى الاستفهام؛ لسقوطه عن الصَّدر"[2]. وذكر الشُمُنِّي [3]: "اعلم أن

(١) (ينظر: الأمير، حاشية الشيخ محمد الأمير على مغني اللبيب لابن هشام، ج١/ ١٧٤).

(٢) (الرضي الدين الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج٢/ ١١٧، ود. قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ط٤، ١٤٠٣هـ، ٢٣٠).

(٣) ينظر: الشمني هو تقي الدين أحمد بن محمد، تتلمذ عليه السيوطي، له مصنفات في الفقه، إضافة إلى حاشيته على المغني. ينظر: السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ)، ج١/ ٣٧٥،٣٨١، والقسطنطيني، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار الكتب العلمي، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م)، ج١/ ١٥٢.

معنى الاستفهام قد سلب عن (كيف) كما حكى قطرب عن بعض العرب: (انظر إلى كيف تصنع)، وبقي دالا على نفس الحال أي إلى حال صنعه"[١].

فهي هنا قد خرجت عن باب الاستفهام، وبالتالي سلبت استحقاق التصدر فوقعت حالا، إذ إن (كيف) قد تستعمل اسما معربا مجردا عن الاستفهام بمعنى الكيفية، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (سورة الفيل، آية ١).

وهذا مخالف لما فهمه صاحب (إعراب الجمل) من أن (كيف) الاستفهامية تسلب التَّصدر بدليل قوله بعد أن حكى قول الرضي المتقدم: والصحيح أن (كيف) لها الصَّدارة، ولا يعمل فيها ما قبلها. أما ما حكوه من قولهم: (انظر إلى كيف يصنع)، و(على كيف تبيع الأحمرين)، فشاذ لا يعول عليه[٢]. وإنَّ فقدها للصَّدارة منوطٌ بانسلاخها عن الاستفهام، وعليه فليس فيها مخالفة من حيث لزومها الصَّدر حال كونها استفهامًا حتى يكون في المسألة رأي راجح، إذ إن حكم الاستفهامية مغايرٌ لحكم الخبرية.

ويؤيد هذا ما حكاه أبو حيان بقوله: "حكى أبو عثمان عن أبي الحسن: (زيدٌ كيف؟) فتجريه مجرى قولك: (زيدٌ قامَ) البتة، قلت له: أ فكيف هنا جملة؟ قال: نعم"[٣] ؛ لأنه يدرك أن لها التَّصدر ومن هنا استفهم، وجعْلُها جملة لا يلغي تصدرها. وأما تأخيرها مفردة فلا يجوز، قال أبو حيان: "لا يجوز: (علمك كيف)" [٤].

ويتضح ممَّا سبق أنَّ (كيف) اسم بلا خلاف، وله الصَّدارة في الكلام.

(١) (الشمني، حاشية الشمني المسماة (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام)، ج٢/ ٢٧).
(٢) (ينظر: د. قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ٢٣١).
(٣) (أبو حيان، تذكرة النحاة، ط١، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م،٣٨٧- ٣٨٨)
(٤) (أبو حيان، تذكرة النحاة، ٦٣٦).

المبحث الثاني: استعمالات (كيف)، ومعانيها:

لـ(كيف) استعمالان[١]:

أحدهما: أن تكون شرطًا:

في إدراج (كيف) في أحرف الجزاء ثلاثة أقوال:

القول الأول:

إنَّها تفيد الجزاء معنى لا عملا، وهو قول البصريين، وتقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير مجزومين، فقد ذهب سيبويه إلى أنه يجازي فيها معنى لا عملا، ويجب كون فعليها متفقي اللفظ والمعنى، نحو: (كيف تصنعُ أصنعُ). ولا يجوز (كيف تجلس أذهب) بالاتفاق[٢]، أي: لا يجوز أن يكون الفعلان مختلفي اللفظ.

وقال سيبويه في الكتاب: "وسألتُ الخليل عن قوله: (كيف تصنعْ أصنعْ)، فقال: هي مستكرهة، وليست من حروف الجزاء، ومخرجها على الجزاء؛ لأن معناها على أي حال تكنْ أكنْ"[٣] ، فهي بمعنى أداتين متجاورتين.

ووضَّح ابن الأنباري أن حجة البصريين في ذلك تظهر من خلال ثلاثة أوجه[٤]:

أحدها: أنَّ (كيف) نقصت عن سائر أخواتها؛ لأنَّ جوابها لا يكون إلا نكرة؛ لأنها سؤال عن الحال، والحال لا يكون إلا نكرة، وسائر أخواتها تارة تجاب بالمعرفة، وتارة تجاب بالنكرة، فلما قصرت عن أحد الأمرين ضعفت عن تصريفها في مواضع نظائرها من المجازاة.

---

(١) (ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج١/ ٢٢٢، ٢٢٣).

(٢) (ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م، ج٤/ ٣٢١)

(٣) (سيبويه، الكتاب، ج٣/ ٦٠)

(٤) (ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)، مسألة ٩١، ج٢/ ٦٤٤. بتصرف).

والوجه الثاني: إنما لم يجز المجازاة بها؛ لأنها لا يجوز الإخبار عنها، ولا يعود إليها ضمير، كما يكون ذلك في (مَنْ وما وأي ومهما)، فلما قصرت في ذلك عن نظائرها ضعفت عن تصريفها في مواضع نظائرها من المجازاة.

والوجه الثالث: أنَّ الأصل في الجزاء أن يكون بالحرف، إلا أن يضطر إلى استعمال الأسماء، ولا ضرورة ها هنا تلجئ إلى المجازاة بها؛ فينبغي أن لا يجازى بها؛ لأن وجدنا (أيًّا) تغني عنها، ألا ترى أن القائل إذا قال: "في أي حال تكن أكن"، فهو في المعنى بمنزلة "كيف تكن أكن". وهذا الوجه ضعيف عند ابن الأنباري؛ وعلل لذلك بأن (أيًّا) كما تتضمن الأحوال تتضمن الزمان والمكان، وغير ذلك؛ فكان ينبغي أن يستغنى بها عن (متى، ما، وأينما)، وغيرها من كلمات المجازاة، فلما لم يستغنوا بها عنها دلَّ على ضعف هذا التعليل.

القول الثاني:

أجاز الكوفيون الجزم بها، ووافقهم قطرب[1]. وحجتهم في ذلك ما يلي:

١- لأنَّ (كيف) مشابهة لكلمات المجازاة في الاستفهام، ألا ترى أن (كيف) سؤال عن الحال، كما أن (أين) سؤال عن المكان، و(متى) سؤال عن الزمان؛ ولأن معناها كمعنى كلمات المجازاة، نحو: (كيفما تكن أكن)، أي: في أي حال تكن أكن، وكما أن معنى (أينما تكن أكن)، أي: في أي مكان تكن أكن، ومعنى (متى ما تكن أكن)، أي: في أي وقت تكن أكن.

ولُوحِظ أنَّ ابن الأنباري لا يسلم بأن (كيف) معناها كمعنى كلمات المجازاة؛ وذلك لأنه لا تتحقق المجازاة بها، فإذا قلت: (كيف تكن أكن)، كان معناها: على أي حال تكون أكون، فقد ضَمِنتَ أن تكون على أحواله وصفاته كلها، وأحوال الشخص كثيرة يتعذر أن يكون المجازى عليها كلها؛ لأنه يتعذر

(١) (ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة ٩١، ج٢/ ٦٤٣، وابن هشام، مغني اللبيب، ج١/ ٢٢٢، ٢٢٣). (ينظر: ابن الأنباري، المرجع السابق، مسألة ٩١، ج٢/ ٦٤٣، ٦٤٥).

أن يتفق شيئان في جميع أحوالهما. فأما (متى وما وأينما) فإنه تتحقق المجازاة بهما، فإذا قلت: (أينما تكن أكن)، فقد ضمنت له متى كان في بعض الأماكن، أن تكون أيضا في ذلك المكان، ولا يتعذر، ومثلها إذا قلت: (متى تذهب أذهب) ضمنت له في أي زمان ذهب أن تذهب معه، وهذا أيضا غير متعذر، بخلاف (كيف)؛ فإنه يتعذر أن يكون المجازى على جميع أحوال المجازى وصفاتها كلها لكثرتها وتنوعها، فبان وظهر الفرق[1].

٢- لا يجوز أن يقال: إنما لم يجز المجازاة بها لأنها لا تتحقق بها؛ لأنك إذا قلت: (كيف تكن أكن) فقد ضمنت له أن تكون على أحواله كلها، وذلك متعذر؛ لأنَّا نقول: هذا يلزمكم في تجويزكم (كيف تكون أكون؟) بالرفع؛ لأن ظاهر هذا يقتضي ما منعتموه؛ فكان ينبغي أن لا يجوز، فلما أجزتموه دلَّ على فساد ما ذهبتم إليه.

ويرد ابن الأنباري عليهم بأن الفرق بينهما أنَّا إذا رفعت الفعل بعد (كيف) فإنما نقدِّر أن هذا الكلام قد خرج على حال عَلمِهَا المجازي؛ فانصرف اللفظ إليها؛ فلذلك صح الكلام، ولم يمكن هذا التقدير في الجزم بها على المجازاة؛ لأن الأصل في الجزاء أن لا يكون معلوما، وأن يكون بـ(إن)، وإذا قلت: (إن قمتُ قمتَ)، فوقتُ القيام غيرُ معلوم، فلما كان الأصل في الجزاء أن يكون غير معلوم بطل أن تقدر (كيف) في الجزاء واقعة على حال معلومة؛ لأنها تخرج من الإبهام وتباين أصل كلمات الجزاء؛ فلذلك لم يجز الجزم بها على تقدير حالٍ معلومةٍ[2].

القول الثالث:

إنَّها تجزم بشرط اقترانها بـ(ما) الزائدة، ذكره ابن هشام في المغني[3] بلفظ: "وقيل: وقال الزجاجي: "ويُضَمُّ إليها (ما) فيُجازى بها، كقولك: "كيفما

(١) (ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة ٩١، ج٢/ ٦٤٥).
(٢) (ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة: ٩١، ج٢/ ٦٤٥).
(٣) ابن هشام في المغني (ج١/ ٢٢٣).

تصنعْ أصنعْ"[١]، فقد يكون هذا رأي البغداديين توسَّطوا به بين رأي البصريين، والكوفيين، وقيل: بتركيبها معها"[٢] ، وهذا يعني أن مجاورتها (ما) كان شرطًا في إعمالها.

وثانيهما: أن تكون استفهامًا:

وهو الغالب فيها، إمَّا أن تكون:

- استفهامًا حقيقيًا، وهو الاستفهام عن الأحوال، نحو: (كيف زيدٌ؟). ويتفق المفسرون على أن معناها هو السؤال عن الحال والهيئة[٣]. قال الطبري: "ولو قال قائل لآخر: كيف أنت؟ لقال: صالح أو بخير أو في عافية، وأخبره عن حاله التي هو فيها، فيعلم حينئذ أن (كيف) مسألة عن حال المسئول"[٤].
- أو استفهامًا غير حقيقي، فتخرج كسائر أخواتها من أدوات الاستفهام إلى معانٍ أخرى تصاحب معناها الأصلي، وقد كثر خلاف النُّحاة والمفسرين في هذه المعاني وتعددت وجهاتهم، إلا أنها لم تخرج عن نطاق المألوف في مخارج هذا الأسلوب المعروفة.

فقد حملها القرطبي على معنى الإنكار في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية ٨١)، أي: هو ينكر عليهم تخويفهم إياه بالأصنام[٥].

(١) (الزجاجي، حروف المعاني والصفات، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، ٦٤).

(٢) (السيوطي، همع الهوامع، ج٤/ ٣٢١).

(٣) (ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ١٤٠٥هـ، ج٣/ ٢٢٠، والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج١/ ٤٢٢، وأبو حيان، البحر المحيط، ، ط١، ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م، ج١/ ٢٧٥)

(٤) (ينظر: الطبري، جامع البيان، ج٢/ ٣٩٨).

(٥) (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧/ ٣٠).

وحمل عليه أبو حيان نصوصًا أخرى، وأضاف إليه في هذا الموضع معنى التعجب[١]. وضم إليه الزمخشري معنى التعجيب في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة آل عمران، آية ١٠١). والمعنى: من أين يتطرق إليكم الكفر؟[٢] ، بينما جعلها القرطبي ها هنا للتعجب وحسب[٣].

وبيَّن أبو حيان الفرق بين معنى الإنكار في (كيف) وفي الهمزة، فقال: "والإنكار بالهمزة إنكار لذات الفعل، وبـ(كيف) إنكار لحاله، وإنكار حاله إنكار لذاته، لأن ذاته لا تخلو من حال يقع فيها فاستلزم إنكار الحال إنكار الذات، وهو أبلغ إذ يصير ذلك من باب الكناية حيث قصد إنكار الحال"[٤].

وأخلص الزمخشري (كيف) لمعنى التعجيب[٥] في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة المائدة، آية ٤٣).

وأضاف أبو حيان إلى التعجيب معنى التعظيم في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة آل عمران، آية ٨٦). أي: كيف يستحق الهداية من أتى بما ينافيها بعد التباسه بها ووضوحها له؟ فهو يستبعد حصولها لهم مع شدة الجرائم[٦].

(١) (ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١/ ٢٧٥).
(٢) (ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١/ ٤٢٢).
(٣) (ينظر:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤/ ١٥٦).
(٤) (أبو حيان، البحر المحيط، ج١/ ٢٧٥).
(٥) (ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١/ ٦٦٩).
(٦) (ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٢/ ٥٤١).

وذكر القرطبي لـ(كيف) في نفس الآية السابقة معنى النفي أي: لا يهدي الله. واستشهد بقول عبيد الله بن قيس الرقيات[١]. كيفَ نومِي على الفراشِ ولَمَّا يَشْمَلِ الشَّامَ غارةٌ شَعْواءُ؟[٢]. والمعنى: لا نوم لي[٣]. وضمنه معنى الوعيد في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (سورة الرعد، آية ٣٢).

ومعنى الاستعظام في نظيرها من سورة غافر قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (سورة غافر، آية ٥).

وحملها الرازي على معنى التقرير في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (سورة الحج، آية ٤٤)، أي: فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب؟ ألم يكن واقعا قطعا؟[٤]، ووافقه في بعض النصوص وخالفه في هذه الآية فجعلها استفهامية للتغيير. أي تغيير ما كانوا عليه من النعم بالعذاب والهلاك[٥].

ووجدها الزجاج تفيد التوبيخ[٦] في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (سورة النساء، آية ٤١). وجعلها

(١) عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي، شاعر قريش في العصر الأموي، كان مقيما في المدينة، توفي سنة ٧٠٤م. ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين)، ج٤/ ١٩٦، والأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: علي مهنا، سمير جابر، (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر)، ج٥/ ٨٠.

(٢) (ينظر: ابن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ١٩٥٨م، ٩٥، والفراهيدي، الجمل في النحو، ط٥، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ج١/ ١٩٨، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ط٢، ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م، ج١/ ٥٣٩).

(٣) (ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤/ ١٢٩).

(٤) (ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٣/ ٤٢).

(٥) (ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢/ ٧٣).

(٦) (ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ١٩٧٣م، ج٢/ ٥٥).

الطبري للوعيد والتهديد والتعظيم في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران، آية ٢٥)، أي: فأي حال يكون حال هؤلاء القوم، الذين قالوا هذا القول، وفعلوا ما فعلوا من إعراضهم عن كتاب الله واغترارهم بربهم، وافترائهم الكذب؟[١]. ورآها الطبرسي في هذا الموضع تفيد التنبيه[٢]. وجعلها أبو حيان في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ (سورة القمر، آية ١٦)، للتهويل والتذكير[٣].

ويتضح لنا مما ذُكِرَ أنَّ المعاني التي تخرج إليها (كيف) مشوبة بالاستفهام، وليست نفيًا خالصًا، أو نهيًا خالصًا كما سبق تقرير ذلك.

وهناك من زعم أن (كيف) تأتي عاطفة[٤]، ومن هؤلاء هشام الكوفي[٥]، فـ(كيف) لا تكون عنده حرف نسق إلا بعد نفي، فقد أجاز: (ما مررت بزيد فكيف عمروٍ)[٦]. وقال سيبويه: "وهو رديء لا تتكلم به العرب"[٧]. ولم أجد النص في كتاب سيبويه فنقلته من همع الهوامع للسيوطي).

كما ذكر سيبويه في كتابه: "ما مررت برجل مسلم فكيف رجلٌ راغبٌ في الصدقة، بمنزلة فأين راغبٌ في الصدقة. وزعم يونس أن الجرَّ خطأ لأن أين ونحوها يبتدأ بهن، ولا يضمر بعدهن شيء"[٨]. وقال ابن مالك في شرح

(١) (ينظر: الطبري، جامع البيان، ج٣/ ٢٢٠).
(٢) (ينظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٩٦١م، ج٣/ ٤٧).
(٣) (ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٨/ ١٧٦، ١٧٧).
(٤) (ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج١/ ٢٢٤)،
(٥) هشام بن معاوية الضرير أبو عبد الله النحوي الكوفي، أحد أعيان أصحاب الكسائي، له مقالة في النحو تعزى إليه، صنف: مختصر النحو، والحدود، والقياس، توفي سنة تسع ومائتين. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة ، ج٢/ ٣٠٩، وابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ =١٩٩٨م)، ١٤٧.
(٦) (ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج٥/ ٢٦٥).
(٧) (ينظر: السيوطي، المرجع السابق.
(٨) (سيبويه، الكتاب، ج١/ ٢١٧).

التسهيل: "وأثبت هشام العطف بكيف بعد النفي، نحو: ما مررت بزيد فكيف عمرو، وحكاه ابن عصفور عن الكوفيين، وقال: ابن بابشاذ[١] ولم يقل به منهم إلا هشام وحده"[٢].

كما أن عيسى بن مَوْهَب[٣] زعم أن (كيف) تأتي عاطفة، وأنشد عليه قول الشاعر[٤]:

إذا قلَّ مال المرء لانت قناته وهانَ على الأدْنى فكيفَ الأباعدِ[٥].

والشاهد فيه عطف الأباعد على الأدنى بـ(كيف)، عند من ذهب إلى أن (كيف) تأتي للعطف. وقد قال البغدادي: "ولا يعرف له تتمة يُستدل بها على إعراب القافية، ولا يُعرف قائله أيضًا فلا يصح الاستدلال به"[٦].

ويرى ابن هشام أن عطف الأباعد على الأدنى بـ(كيف) خطأ؛ لاقترانها بالفاء[٧]، إذ دخل حرف العطف على (كيف)، وحرف العطف لا يدخل على حرف عطف، وإنما يكون (الأباعد) مرفوعًا على الابتداء، وهذا أحسن الوجوه عند البغدادي[٨]، ثم يحتمل أن (الأباعد) مجرور بإضافة مبتدأ محذوف، وعلى هذا التقدير تبقى (كيف) مرفوعة المحل على الخبرية، أي: فكيف حالُ

(١) ابن بابشاذ: أبو الحسن طاهر بن أحمد المصري، أحد الأئمة في النحو، له شرح على (جمل الزجاجي)، و(المحتسب) في النحو، وتعليق في النحو يقارب خمسة عشر مجلدا، توفي سنة تسع وستين وأربعمائة. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج٢/ ١٧، والقفطي، الوزير جمال الدين علي بن يوسف، انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م)، ج٢/ ٩٥.

(٢) (ابن مالك، شرح التسهيل، ج٢/ ٤٤٣).

(٣) لم أجد ترجمة له في كتب التراجم.

(٤) قائل البيت غير معروف.

(٥) (ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج١/ ٢٢٤، والسيوطي، همع الهوامع، ج٥/ ٢٦٦).

(٦) (البغدادي، شرح أبيات مغني اللبيب، ط١، ١٩٧٣م،ج٤/ ٢٧٣).

(٧) (ابن هشام، مغني اللبيب، ج١، ٢٢٥).

(٨) (ينظر: البغدادي، شرح أبيات مغني اللبيب، ج٤/ ٢٧٣).

الأباعدِ، على حدِّ قراءة ابن جمَّاز [1] لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال، آية ٦٧)، أو بتقدير: فكيف الهوانُ على الأباعد، فحذف المبتدأ والجار، وأبقى الخبر وهو (كيف)، والمجرور وهو الأباعد، وهو توجيه ضعيف. أو بالعطف بالفاء ثم أُقحِمت (كيف) أي: جاءت زائدة بين العاطف والمعطوف لإفادة الأولَوية بالحكم، وهذا لم يقل به أحد[2].

وذكر أبو حيان: "وقرأ سليمان بن جمَّاز المدني بالجر، واختلفوا في تقدير المضاف المحذوف فمنهم من قدَّره عرضَ الآخرة، قال: وحذف لدلالة عرض الدنيا عليه، وممن فعل ذلك الزمخشري، وقدره بعضهم عمل الآخرة"[3]. وقد ضَعَّف الدماميني تقدير: ثواب الآخرة بقوله: "لا يخفى أن هذا الجواب ضعيف؛ لأنه مبني على تقدير أمر مستغنى عنه، وهو الحين، وعلى عدم إقامة المضاف إليه مقام المحذوف وهو شاذ"[4].

وقد لاحظنا أنَّ (كيف) استعملت كثيرا استفهامية، وقليلا شرطية، ونادرا عاطفة، وذلك من خلال البحث عن استعمالات (كيف) في الدِّراسات النَّحوية.

(١) ابن جماز: سليمان بن مسلم بن جماز المدني، مقرئ جليل ضابط، توفي بعد السبعين والمئة. ينظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: براجستراسرا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م)، ج١/ ٢٨٣.

(٢) (ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج١/ ٢٢٥. بتصرف).

(٣) (أبو حيان، البحر المحيط، ج٤/ ٥١٤، والزمخشري، الكشاف، ج٢/ ٢٢٥، والسيوطي، همع الهوامع، ج٤/ ٢٩٢).

(٤) (الدماميني، شرح الدماميني (منشور مع حاشية الشمني)، ١٨٥).

المبحث الثالث: الموقع الإعرابي لـ(كيف) عند النُّحاة:

المواقع الإعرابية لـ (كيف):

تقع (كيف) في مواقع إعرابية مختلفة وهي[١]:

١- أن تقع خبرًا إذا وقعت قبل ما لا يستغني عن الخبر، كالاسم المبتدأ والفعل الناسخ، نحو: (كيف أنتَ؟)، و (كيف كنتَ؟).

٢- أن تقع مفعولا به، نحو: (كيف ظننتَ زيدًا؟)، فكيف هنا في محل نصب مفعول به ثانٍ للفعل (ظنَّ)، وقد كان خبرًا قبل دخول الفعل، وصورة الجملة (كيف زيد؟).ونحو: (كيف أعْلَمتَهُ فرسَكَ؟)، فكيف في محل نصب مفعول به ثالث للفعل (أعلم)، وقد كان خبرًا قبل دخول الفعل (أعلم)، وصورة الجملة (كيف فرسُكَ؟).

٣- أن تقع حالا إذا وقعت قبل ما يستغني عن الخبر، نحو: (كيف جاء زيدٌ؟)، فإن الفعل (جاء) لا يحتاج إلى خبر.

وقال ابن هشام: "وعندي أنها تأتي في هذا النوع مفعولا مطلقا أيضًا، وأن منه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (سورة الفيل، آية ١)، إذ المعنى: أيَّ فِعْلٍ فَعَلَ رَبُّك؟ ولا يتجه فيه أن يكون حالا من الفاعل"[٢].

وذكر الزركشي في البرهان مجيئها مصدرًا[٣] في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (سورة الفرقان، آية ٤٥). وقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الروم، آية ٥٠).

(١) (ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج١/ ٢٢٣).

(٢) (ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج١/ ٢٢٣).

(٣) (ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٣٩١هـ، ج٤/ ٣٣٢).

وقال الشهاب: "ونصبه على المصدرية أو الحالية، واختار الأول ابن هشام في المغني، وأما الحالية من الفاعل فممتنعة؛ لأنَّ فيه تعالى وَصْفَه بالكيفية وهو غير جائز"(١).

وإنَّ ابن هشام يبدو مصيبًا في اعتراضه، فمن المستبعد أن تعرب (كيف) حالا في كثير من التعبيرات، وذلك نحو قولك: (كيف تضربه وهو أخوك؟)، ونحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (سورة الفيل، آية ١)، وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (سورة النساء، آية ٥٠)، وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية ٨١)، وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ (سورة الأعراف، آية ٩٣)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ (سورة نوح، آية ١٥)، فالظاهر أنه لا يسأله في نحو هذا عن حال الفاعل.

غير أنَّه مما يرد ابن هشام أننا نستطيع أن نذكر المفعول المطلق مع (كيف) في نحو هذا التعبير، فتقول مثلا: (ألا ترى كيف يضرب خالد أخاه ضربا موجعا)، فلا يصح أنْ يقال أنَّ المعنى: أي ضرب يضرب خالد أخاه ضربًا موجعا، إلا إذا فزعنا إلى التقدير فنقدر فعلا محذوفا فيكون تقدير الكلام: ألا ترى كيف يضرب خالد أخاه يضربه ضربًا موجعا، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، أننا لو أبدلنا المصدر بـ (كيف)، لم نجده يطابق المعنى المقصود، فقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (سورة النساء، آية ٥٠)، لا يطابق، (انظر أيّ افتراء يفترون على الله الكذب)، فالقول الأول تعجب من حالهم، ومعناه انظر كيفية افترائهم

(١) (الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب الخفاجي المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، ج٨/ ٣٩٩).

في حين يكون معنى القول الثاني: انظر نوع الافتراء الذي يفترونه، فهو تعجب من نوع الفعل لا من كيفيته.

وذكر أبو حيان أنَّ الاسم (كيف) في الآية السابقة هو: سؤال عن حال، ومنصوب على الحال، والعامل فيه يفترون، والجملة في موضع نصب بـ (انظر)؛ لأن انظر معلقة. وقال ابن عطية: وكيف يصح أن يكون في موضع نصب بـ(يفترون)؟ ويصح أن يكون في موضع رفع بالابتداء، والخبر في قوله: يفترون انتهى.

وقد عقب أبو حيان على ابن عطية بأنه يصح أن يكون الاسم (كيف) في موضع نصب بـ(يفترون)، وأما قوله ويصح أن يكون في موضع رفع بالابتداء، والخبر في قوله (يفترون)، فهذا لم يذهب إليه أحد؛ لأنّ كيف ليست من الأسماء التي يجوز الابتداء بها، وإنما قوله: كيف يفترون على الله الكذب في التركيب نظير كيف يضرب زيد عمرًا، ولو كانت مما يجوز الابتداء بها ما جاز أن يكون مبتدأ في هذا التركيب؛ لأنه ذكر أنّ الخبر هي الجملة من قوله: (يفترون)، وليس فيها رابط يربط هذه الجملة بالمبتدأ، وليست الجملة نفس المبتدأ في المعنى، فلا يحتاج إلى رابط، فهو فاسد عند أبي حيان على كل تقدير (١).

٤- أن تقع مفعولا مطلقا إذا كان السؤال عن هيئة الفعل وكيفيته، إذ مثَّل ابن هشام في المغني على وقوع (كيف) مفعولا مطلقا، بقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (سورة النساء، آية ٤١)، أي: فكيف إذا جئنا من كلِّ أمة بشهيد يصنعون، أي: أيُّ صُنْعٍ يصنعون، ثم حذف عاملها مؤخرًا عنها وعن إذا، والأظهر عند ابن هشام أن يُقَدَّر بين كيف وإذا، بحيث تُقدَّر (إذا) خالية عن معنى

(١) (ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٣/ ٢٨٢. بتصرف).

الشرط، فيصبح التقدير: فكيف يصنعون إذا جئنا، أي: فكيف يصنعون وقت مجيئنا من كلِّ أمة بشهيد.

وقال الأمير معقبًا على كلام ابن هشام في تقديره (إذا) خالية من الشرط: "لعله اختار ذلك لأنه أقرب وأبعد عن تكلُّف تقدير جواب"(١).

كما قال أبو حيان: "وكيف في موضع رفع إن كان المحذوف مبتدأ، التقدير: فكيف حال هؤلاء السابق ذكرهم، أو كيف صُنْعُهم، وهذا المبتدأ هو العامل في (إذا). أو في موضع نصب إن كان المحذوف فعلا، أي: فكيف يصنعون، أو كيف يكونون، والفعل أيضًا هو العامل في إذا"(٢). ويرى الشهاب أنَّ القول الأصح أنَّ (كيف) في محل نصب على الظرفية، لا الحالية؛ فهو خبر لمبتدأ محذوف وهو (حالهم) (٣).

(١) (الأمير، حاشية الشيخ محمد الأمير على مغنى اللبيب لابن هشام، ج١/ ١٧٤).
(٢) (أبو حيان، البحر المحيط، ج٣/ ٢٦٢).
(٣) (ينظر: الشهاب، حاشية الشهاب، ج٣/ ١٣٨).

الفصل الثاني: الدِّراسة التَّطبيقية على كلمة (كيف) في القرآن الكريم، بذكر الآيات الواردة فيها كلمة (كيف)

المبحث الأول: (كيف) الاستفهامية في القرآن:

كيف:

وردت كلمة (كيف) الاستفهامية في ثمانين موضعًا في القرآن الكريم[١]، والاستفهام يكون معها على حقيقته؛ لأنَّها تستفهم عن حال الشيء، أي: عن ماهيته الطارئة لا عن ذاته وحقيقته، وهذا كثير[٢].

ومثال ذلك قوله تعالى:

١- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦٠).

٢- ﴿بَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ (سورة المائدة، آية ٣١).

٣- ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأٰيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية ٦٥).

٤- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة يونس، آية ١٤).

٥- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء، آية ٢١).

---

(١) (ينظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، ١٣٦٤هـ، ٦٤٢- ٦٤٤)

(٢) (عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج١/ ٤١٠).

وسأتناولُ الآية الأولى بالدِّراسة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦٠).

فقد ذكر العكبري بأن العامل في (إذ) في قوله تعالى:﴿ وإذ قال﴾ محذوف تقديره: اذكر فهو مفعول به لا ظرف، و﴿أرني﴾ يُقرأ بسكون الراء، وقوله عزَّ وجل:﴿كيف تحيي﴾ الجملة في موضع نصب بـ(أرني) أي: أرني كيفية إحياء الموتى فـ(كيف) في موضع نصب بـ(تحيي) على الحالية، واللام في ﴿ليطمئن﴾ متعلقة بمحذوف تقديره: سألتك ليطمئن قلبي[1].

وأشار أبو حيان إلى أنَّ العامل في (إذ) مذكور في الآية السابقة، وهو: ﴿ألم ترَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٥٨)، فيكون مفعولا به للفعل (ترَ).

كما بيَّن أن افتتاح السؤال بقوله: (ربِّ)، حسن استلطاف واستعطاف للسؤال، ولِيناسب قوله لنمرود[2] ﴿**رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ**﴾ (سورة البقرة، آية ٢٥٨)؛ لأنَّ الرب هو الناظر في حاله، وحُذِفت ياء الإضافة اجتزاء بالكسرة، وهي اللغة الفصحى في نداء المضاف لياء المتكلم، وحُذِف حرف النداء للدّلالة عليه. و(أرني)، سؤال رغبة، وهو معمول: لقال، والرؤية هنا بصرية، ودخلت على (رأى) همزة النقل؛ فتعدّت لاثنين: أحدهما ياء المتكلم، والآخر الجملة الاستفهامية. فقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ في موضع نصب مفعول به ثانٍ[3].

(١) (ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج١/ ٤٥. بتصرف).

(٢) نمرود: اسم ملك معروف، وهو اسم مشتق من التَّمرد وهو على هذا ثلاثي، ويقال: نمروذ بالذال. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣/ ٤٢٩، ٥١٦.

(٣) (أبو حيان، البحر المحيط، ج٢/ ٣٠٨. بتصرف).

وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه[١]، وبالحال عند الأخفش[٢]، والعامل فيها تحيي. أي: في أي حال أو على أي حال تحيي.

كما يرى المفسرون أنَّ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لم يشك في إحياء الموتى وإنما كان سؤاله بسبب هذه الأقوال الأربعة التالية[٣]:

أحدها: أنَّه رأى ميتة تمزقها الهوام والسباع فسأل هذا السؤال، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وابن جريج، ومقاتل. وهذه الميتة: إمَّا أن تكون رجلا ميتا قاله ابن عباس، أو جيفة حمار قاله ابن جريج ومقاتل، أو حوتا ميتا قاله ابن زيد.

والثاني: أنَّه لما بُشِرَ باتخاذ الله له خليلا سأل هذا السؤال ليعلم صحة البشارة ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وروي عن سعيد بن جبير أنه لما بشر بذلك قال ما علامة ذلك قال: أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فسأل هذا السؤال.

والثالث: أنَّه سأل ذلك ليزيل عوارض الوسواس وهو قول عطاء ابن أبي رباح.

والرابع: أنَّه لما نازعه نمرود في إحياء الموتى سأل ذلك ليرى ما أخبر به عن الله وهذا قول محمد بن إسحاق.

وقال القرطبي الاستفهام بـ(كيف) هنا إنما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسئول، فالاستفهام هنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل، أي: بصرني كيفية إحيائك للموتى وإنما سأله إبراهيم عليه السلام ليتأيد إيقانه بالعَيان ويزداد قلبه اطمئنانا[٤].

---

(١) (سيبويه، الكتاب، ج٣/٦٠).

(٢) (ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج١/ ٢٢٣).

(٣) (ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج٣/ ٤٧، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٤٠١هـ، ج١/ ٣١٦، والغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ج١/ ٩١. بتصرف).

(٤) (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣/ ٢٩٩).

ولُوحِظَ مما سبق ذكره أنَّ كلمة (كيف) في قوله تعالى: ﴿ربِّ أرني كيف تحيي الموتى﴾، تدل على الاستفهام الحقيقي عن الحالة والهيئة، وهو الذي لم يخرج إلى معانٍ أخرى.

كما أنَّ هذه الآية تُبين أنَّ في الإنسان غريزة حبِّ معرفة المجهول والتطلع إليه. وولاية الله تعالى لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– حيث أراه من آياته ما اطمأن به قلبه وسكنت له نفسه. وثبوت عقيدة الحياة الثانية ببعث الخلائق أحياء للحساب والجزاء.

ونجد غالبًا أنَّ كلمة (كيف) الاستفهامية، تخرج عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى من التعجب والإنكار والتوبيخ والتهديد والوعيد. والآيات الواردة في ذلك كثيرة منها على سبيل المثال وليس الحصر:

أولاً: آيات (كيف) الدالة على التعجب والإنكار والتوبيخ، وهي قوله تعالى:

١- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٨).

٢- ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة آل عمران، آية ٨٦).

٣- ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة آل عمران، آية ١٠١).

٤- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية ٢٤).

٥- ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة التوبة، آية ٧).

٦- ﴿**فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**﴾ (سورة المدثر، آية ١٩).

وسأعرضُ دراسةً لقوله عزَّ وجل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٨).

فقد ذكر الزمخشري بأنَّ (كيف) تدل على الإنكار والتعجب، إذ يرى أنَّ قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان. نظيره قولك: أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فإن قلت قولك: أتطير بغير جناح إنكار للطيران؛ لأنه مستحيل بغير جناح، وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء(١).

وقال العكبري: إن (كيف) في موضع نصب على الحال، والعامل فيه (تكفرون)، وصاحب الحال الضمير في (تكفرون)، والتقدير: أمعاندين تكفرون ونحو ذلك، وقد تليها الفعل (تكفرون) الذي تعدى بحرف الجر، وقد يتعدى بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (سورة هود، آية ٦٠)، وذلك على معنى (جحدوا) (٢).

ويرى أبو حيان أنَّ (كيف) خرجت عن معنى الاستفهام الحقيقي إلى معنى التقرير والتوبيخ(٣)، ووافقه في ذلك القرطبي إذ يقول: "كيف لفظه لفظ الاستفهام، وليس به بل هو تقرير وتوبيخ، أي: كيف تكفرون نعمه عليكم وقدرته هذه، قال الواسطي: وبَّخَهم بهذا غاية التوبيخ؛ لأن الموات والجماد لا ينازع صانعه في شيء، وإنما المنازعة من الهياكل الروحانية"(٤).

وقيل: إنَّ (كيف) في هذه الآية صحبه الإنكار والتعجب، أي: إنكار الكفر بالله تعالى صاحب القدرة العظيمة. والإنكار بالهمزة إنكار لذات الفعل، وبـ(كيف) إنكار لحاله وإنكار حاله إنكار لذاته؛ لأن ذاته لا تخلو من حال يقع فيها، فاستلزم إنكار الحال إنكار الذات ضرورة(٥).

(١) (ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١/ ١٥٠. بتصرف).
(٢) (ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج١/ ٤٥. بتصرف).
(٣) (ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١/ ٢٧٥).
(٤) (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١/ ٢٤٩).
(٥) (ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١/ ٢٧٥. بتصرف).

وبيَّن أبو حيان أنَّ الإنكار في الآية موجه إلى المخاطب وهو أبلغ من توجهه إلى الغائب لجواز أن لا يصله الإنكار، بخلاف من كان مخاطبًا، فإن الإنكار عليه أردع له عن أن يقع فيما أُنكِر عليه(١). كما أتى بصيغة (تكفرون) مضارعًا، ولم يأت به ماضيًا، وإن كان الكفر قد وقع منهم؛ لأن الذي أُنكِر أو تُعجِب منه هو الدوام على ذلك، والمضارع هو الدال عليه(٢).

واتفق الصايغ مع القزويني بأنَّ (كيف) في هذه الآية يُستفهم بها عن حال مجهول، ووقعت بمعنى التعجب؛ لأنَّ هذه الحال تأبى ألا يكون للعاقل علم بالخالق وقدرته(٣). وأضاف القزويني إلى (كيف) معنى التوبيخ؛ لأنَّ الكفر مع هذه الحال يدل على الانهماك في الغفلة أو الجهل(٤).

قال ابن كثير في تفسيره ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ** ﴾ أي: كيف تجحدون وجود الله أو تعبدون معه غيره! ﴿ **وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ** ﴾ أي: قد كنتم عدمًا فأخرجكم إلى الوجود، كما قال تعالى: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ** ﴾ (سورة الطور، آية ٣٥-٣٦)، وقال عزَّ وجل: ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا** ﴾ (سورة الإنسان، آية ١) (٥).

وهناك مِن المفسرين مَنْ فسرها بأنَّه كيف يحصل من هؤلاء الناس الكفر بالله على سبيل التعجب والإنكار والتوبيخ؛ فهو الذي خلقهم من العدم، وأنعم عليهم بنعم كثيرة، ثم يميتهم عند انتهاء آجالهم، ويجازيهم في قبورهم، ثم يحييهم بعد البعث للجزاء والحساب. فكان كفرهم بالله في حالة علمهم بقصة الحياة

(١) (ينظر: المرجع السابق. بتصرف).
(٢) (ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١/ ٢٧٥. بتصرف).
(٣)(ينظر: الصايغ، اللمحة في شرح الملحة، ط١، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م، ج٢/ ٤٠٢، والقزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط٤، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ج١/ ١٤١. بتصرف)
(٤) (ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج١/ ١٤١. بتصرف).
(٥) (ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/ ٦٨).

والموت والبعث. كما تقول لشخص: كيف تؤذي أباك وقد رباك؟ لا تقصد إلا أن تنكر عليه أذيته لأبيه وتوبيخه عليها(١).

ولُوحِظ مما سبق أنَّ الاستفهام في هذه الآية مجازي، والمراد منه التعجب والتوبيخ والإنكار، وذلك لإنكار الله تعالى على الناس كفرهم بِهِ وبقدرتِهِ على إحيائهم مرة أخرى بعد الموت ليحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم.

كما أنَّ الإنكار فيه مسلطٌ على الواقع؛ لأن المخاطبين كافرون فِعلا، وزاد من شناعة كفرهم عدم وجود عذر لهم في هذا الإنكار، بل كلُّ الدلائل والبراهين ناطقة بالدعوة إلى الإيمان بلسان الحال.

ثانيًا: آيات (كيف) الدالة على التهديد والوعيد، وهي قوله تعالى:

١- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران، آية ٢٥).

٢- ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ (سورة النساء، آية ٦٢).

٣- ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (سورة الرعد، آية ٣٢).

٤- ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (سورة فاطر، آية ٢٦).

٥- ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ (سورة المزمل، آية ١٧).

وسأذكرُ دراسةً للآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران، آية ٢٥).

(١) (ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١/ ٢١٢، والسمعاني، تفسير القرآن، ط١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م، ج١/ ٦٢، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٤٢١هـ =٢٠٠٠م، ج١/ ٤٨).

فهذه الآية تعقيب من الله العلي القدير على رفض اليهود للإسلام وهم يعلمون أنَّه الحق، وعلى افتراءاتهم المتكررة على الله عزَّ وجل، وتصدرت الآية بهذا الاستفهام.

والاستفهام بـ(كيف) سواء كان حقيقيًا أو مجازيًا يكون عن الحال، وهو هنا مجازي؛ لأنه صادر عن الله – سبحانه وتعالى –، والله لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

وذكر العكبري أنَّ "كيف في موضع نصب على الحال، والعامل فيه محذوف تقديره: كيف يصنعون أو كيف يكونون. وقيل: كيف ظرف لهذا المحذوف، وإذا ظرف للمحذوف أيضًا"(١).

وقال الزمخشري: ﴿فكيف إذا جمعناهم﴾ أي: فكيف يصنعون؟ أو فكيف تكون حالهم؟ وهو استعظام لما أُعِدَّ لهم وتهويل لهم، وأنهم سيقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه(٢).

ووافق أبو حيان العكبري في كون (كيف) منصوبة على الحال، والتقدير: كيف يصنعون؟ وقدره الحوفي: كيف يكون حالهم؟، وأضاف على ذلك، إن أراد كان التامة كانت في موضع نصب على الحال، وإن كانت الناقصة كانت في موضع نصب على خبر كان، والأجود أن تكون في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف يدل عليه المعنى والتقدير: كيف حالهم؟ والعامل في (إذا) ذلك الفعل الذي قدره، والعامل في (كيف) إذا كانت خبرًا عن المبتدأ إن قلنا: إن انتصابها انتصاب الظروف، وإن قلنا: إنها اسم غير ظرف، فيكون العامل في (إذا) المبتدأ الذي قدرناه، أي: فكيف حالهم في ذلك الوقت؟ وهذا الاستفهام لا يحتاج إلى جواب، وكذا أكثر استفهامات القرآن؛ لأنها من عالم الشهادة، والغرض من الاستفهام هنا التهديد والوعيد(٣).

(١) (العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج١/ ٢٥٠).
(٢) (ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١/ ٣٧٧. بتصرف).
(٣) (ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٢/ ٤٣٥. بتصرف).

وفسَّر الطبري قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه﴾ بكيف يكون حال هؤلاء الكافرون يوم القيامة، وهم المعرضون عن كتاب الله(١). وبيَّن النحاس أن في الكلام حذف، ومعناه: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه، أي: لاشك في وقوعه(٢).

ووضَّح القرطبي أنَّ في هذه الآية خطاب للنبي –صلى الله عليه وسلم– ، وأمته على جهة التوقيف والتعجب، أي: فكيف يكون حالهم أو كيف يصنعون إذا حُشِروا يوم القيامة(٣). وذكر البيضاوي أنَّ في هذه الآية استعظام لما يحيق بالكافرين في الآخرة من عذاب، وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات، وقد رُوي أنَّ أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار(٤).

واتفق كلٌّ مِنْ أبي السعود والألوسي وابن عاشور على أن الغرض من الاستفهام هنا هو استعظام ما سيدهم هؤلاء الكفار من العذاب، وتهويل ما سيُحيق بهم من الأهوال(٥).

وارتأيتُ أنَّ كلَّ الأخبار التي احتواها النَّظم الحكيم في هذه الآية المراد منها التهديد لمن حارب الله ورسوله، وكفر بالحق، وتقرير عدالة الله المطلقة في قضائه.

(١) (ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٣/ ٢٢٠. بتصرف).
(٢) (ينظر: النحاس، معاني القرآن الكريم، ط١، ١٤٠٩هـ، ج١/ ٣٧٨. بتصرف).
(٣) (ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤/ ٥١. بتصرف).
(٤) (ينظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج٢/ ٢٢. بتصرف).
(٥) (ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٢/٢١، والألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج٣/١١١، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩٩٧م، ج٣/ ٢١١. بتصرف).

المبحث الثاني: (كيف) الشَّرطية في القرآن:

كيف:

تجيء (كيف) اسم شرط غير جازم – على الأرجح – يقتضي بعده فعل الشَّرط وجوابه، ويشترط بعضهم أن يكون الفعلان بعدها متفقين في الاشتقاق اللفظي وفي المعنى(١)، لكنَّ الأساليب التي جاءت في القرآن لم يأتِ فيها الجواب، بل قُدِّر مماثلا لفعل الشَّرط.

وردت (كيف) الشَّرطية في ثلاثة مواضعٍ في القرآن الكريم فقط وهي قوله تعالى:

١- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (سورة آل عمران، آية ٦).

٢- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة المائدة، آية ٦٤).

٣- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (سورة الروم، آية ٤٨).

ذكر العكبري أنَّ قوله تعالى: ﴿في الأرحام﴾ متعلق بـ (يُصَور)، ويجوز أن يكون حالا من الكاف والميم، أي: يصوركم وأنتم في الأرحام مضغ، و(كيف) في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كيف يشاء﴾ في موضع نصب بـ(يشاء) وهو حال، والمفعول به محذوف تقديره: يشاء تصويركم(٢).

وأضاف العكبري بأنَّه قيل: إنَّ (كيف) ظرف لـ (يشاء)، وموضع الجملة حال تقديره: يصوركم على مشيئته، أي: مريدا، فعلى هذا يكون حالا من

(١) (ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج١/ ٢٢٢، ٢٢٣. بتصرف).

(٢) (ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج١/ ٢٣٧. بتصرف).

ضمير اسم الله. كما يجوز أن تكون (كيف) حالا من الكاف والميم، أي: يصوركم متقلبين على مشيئته. (ينظر: المرجع السابق. بتصرف).

ووضَّح أبو حيان أنَّ (كيف) هنا للجزاء، لكنها لا تجزم. ومفعول: يشاء، محذوف لفهم المعنى، والتقدير: كيف يشاء أن يصوركم. كقوله تعالى:﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء﴾، أي: كيف يشاء أن ينفق، و(كيف) منصوب: بـ(يشاء)، والمعنى: على أي حال شاء أن يصوركم صوركم، ونصبه على الحال، وحُذِفَ فعل الجزاء لدلالة ما قبله عليه، نحو قولهم: أنت ظالم إن فعلت، والتقدير: أنت ظالم إن فعلت فأنت ظالم، ولا موضع لهذه الجملة من الإعراب، وإن كانت متعلقة بما قبلها في المعنى، فتعلقها كتعلق إن فعلت، كقوله: أنت ظالم. وقال بعضهم: ﴿كَيْفَ يَشَاء﴾ في موضع الحال، معموله: يصوركم، ومعنى الحال، أي: يصوركم في الأرحام قادرًا على تصويركم مالكا ذلك وقيل: التقدير في هذه الحال: يصوركم على مشيئته، أي مريدًا، فيكون حالا من ضمير اسم الله، وهذا ما ذكره العكبري، كما يجوز أن يكون حالا من المفعول، أي: يصوركم منقلبين على مشيئته. وقال الحوفي: يجوز أن تكون الجملة في موضع المصدر، والمعنى: يصوركم في الأرحام تصوير المشيئة، وكما يشاء(١).

وأكدَّ أبو حيان أنَّ (كيف) في جميع الآيات الثلاثة الآنفة الذكر، لا يعقل أن تكون سؤالا عن حال بل هي في معنى الشرط، بقوله: كما تقول: كيف تكون أكون. وجواب (كيف) محذوف يدل عليه الفعل المتقدم (ينفق). كقولك: أقوم إن قام زيد على جواب الشرط، والتقدير: ينفق كيف يشاء أن ينفق ينفق، كما تقول: كيف تشاء أن أضربك أضربك.

كما ذكر أنَّه لا يجوز أن يعمل في (كيف) الفعل (ينفق)؛ لأن اسم الشرط لا يعمل فيه ما قبله إلا إن كان جارًا، فقد يعمل في بعض أسماء الشرط. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ

(١) (ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٢/ ٣٩٥، ٣٩٦. بتصرف).

فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (سورة الروم، آية ٤٨).

وبيَّن ابن هشام أنَّ جواب (كيف) في قوله تعالى: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ محذوف لدلالة ما قبله، وهذا يدل على وجوب أن يكون جوابها مماثل لفعل الشرط(١).

وفسَّر ابن كثير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (سورة آل عمران، آية ٦)، أي: يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى وحسن وقبيح وشقي وسعيد، ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾، أي: هو الذي خلق، وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له وله العزة التي لا ترام(٢).

كما بيَّن ابن كثير والقرطبي أنَّ هذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأنَّ عيسى ابن مريم عبدٌ مخلوق كما خلق الله سائر البشر؛ لأنَّ الله صوره في الرحم وخلقه كيف يشاء، فكيف يكون إلها كما زعمته النصارى عليهم لعنة الله وقد تقلب في الأحشاء، وتنقل من حال إلى حال كما قال الله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾(سورة الزمر، آية ٦)(٣).

وذكر الطبري والزمخشري في تفسير قوله تعالى﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة

(١) (ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج١/ ٢٢٣، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م، ج٢/ ٤٩٦. بتصرف).

(٢) (ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/ ٣٤٥. بتصرف).

(٣) (ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/ ٣٤٥، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤/٧. بتصرف).

المائدة، آية ٦٤)، أنَّ الله –سبحانه وتعالى– عاقب اليهود عندما قالوا إنَّ الله بخيل يبخل عليهم، ولا يرزقهم من فضله – تعالى الله عما يصفون – وكان عقابهم أن غُلت أيديهم، وأُمسكت عن الخيرات وقُبضت عن الانبساط بالعطيات، ولُعنوا بما قالوا وأبعدوا من رحمة الله وفضله، بل يداه – عزَّ وجلَّ – مبسوطتان بالبذل والعطاء، فأرزاق عباده وأقوات خلقه غير مغلولتين ولا مقبوضتين ينفق كيف يشاء(١).

أمَّا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (سورة الروم، آية ٤٨)، فقد فسَّرها المفسرون بأنَّ الله في هذه الآية يريد أن يبين للناس كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء، فقال تعالى: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾، أي: يرسل الله تعالى الرِّياحَ فَتُنَشِئُ سَحَابا فينشُرُهُ في السَّمَاءِ أو يَجمعُهُ، أَو يَجعَله قِطعا (كِسَفا)، فَتَرى قطرَاتِ المَاءِ (الوَدْقَ) تَخرُجُ مِن خِلالِ السَّحَابِ، فإذا أَصَابَ المَطرُ مَنْ أَرادَهم الله مِن خَلقِهِ فرِحُوا بِهِ، واستَبشَرُوا بالخَير، والخِصْبِ(٢).

ومما سبق توصلنا إلى أنَّ (كيف) الشرطية غير جازمة، وجاءت محذوفة الجواب، وشرطها مضارع على خلاف أدوات الشرط الجازمة، فلا يُحذف جوابها إلا إذا كان شرطها ماضيًا لفظا أو معنى.

(١) (ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٦/ ٢٩٩، ٣٠٠، والزمخشري، الكشاف، ج١/ ٦٨٧. بتصرف).

(٢)(ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج٢١/ ٥٣، والزمخشري، الكشاف، ج٣/ ٤٩١، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤/ ٤٤، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/ ٤٣٧. بتصرف).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فإنَّ هذه الدِّراسة وعنوانها: استعمالات (كيف) في القرآن الكريم "دراسة نحوية" قد تناولت (كيف) بالدِّراسة النَّظرية والتَّطبيقية، وذلك بتتبع ما جاء عنها في المؤلفات النَّحوية، وبسط أقوال النَّحويين فيها ومناقشتها، ثم بتتبع مواضع (كيف) في القرآن الكريم، ومحاولة تلمس معالم استعمالها ودلالتها في هذه المواضع. وقد خلصت هذه الدِّراسة إلى نتائج، من أهمها:

١- رجح البحث أن تكون كلمة (كيف) اسمًا، وليس حرفًا، ولا فعلا.
٢- إثبات الصَّدارة لكلمة (كيف) من خلال عرض آراء النُّحاة.
٣- أكثر مواقع (كيف) في القرآن الكريم كان حالا، وخبرا.
٤- كثرة استخدام (كيف) استفهامية في القرآن الكريم سواء كان الاستفهام حقيقيًا أو مجازيًا.
٥- استعمال (كيف) كثيرًا في القرآن الكريم لغرض التعجب والإنكار والتوبيخ والتهديد والوعيد.
٦- قلة استعمال (كيف) الشَّرطية في القرآن الكريم إذ إنها لم ترد إلا في ثلاث آيات فقط.
٧- (كيف) الشرطية لا يأتي بعدها إلا الفعل المضارع فقط.

وتوصي هذه الدِّراسة بالاتجاه إلى الدِّراسات التطبيقية في الأبحاث العلمية، كما توصي بدراسة دلالات الكلمات من حروف وأفعال وأسماء في القرآن الكريم؛ لأنَّ فيه التفاتا إلى المعنى وربطه بالتطبيق الأدائي لتلاوة القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (٢٠٠١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: علي مهنا، سمير جابر، (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر).
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- الأمير، الشيخ محمد، حاشية الشيخ محمد الأمير على مغني اللبيب لابن هشام، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية).
- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن، (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية).
- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، (١٤١٨هـ =١٩٩٨م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي).
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، (١٩٩٨م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وأميل بديع يعقوب، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، (١٩٧٣م)، شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد الدقاق، ط١، (دمشق: دار المأمون).
- البيضاوي، تفسير البيضاوي، (بيروت: دار الفكر).
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، (١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: براجستراسرا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية).

- الجوهري، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت: مكتبة لبنان).
- الحلبي، السمين، (١٤١٤هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. حاد مخلوف ومجموعة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (١٤٢٢هـ =٢٠٠١م)، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: د. زكري عبد المجيد، ود. أحمد الجمل، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م)، تذكرة النحاة، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن، ط١، (مؤسسة الرسالة).
- الدماميني، محمد بن أبي بكر بن عمر، شرح الدماميني (منشور مع حاشية الشمني)، (مصر: المطبعة البهية).
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- الرضي الدين، محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، (مطبعة سندة).
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (مطبعة حكومة الكويت).
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، (١٩٧٣م)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده جلبي، (بيروت: مطبعة المكتبة العصرية).
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م)، حروف المعاني والصفات، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود، (دار العلوم للطباعة والنشر).

- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، (١٣٩١هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة).
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين).
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (١٩٩٣م)، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: د. على بو ملحم، ط١، (بيروت: مكتبة الهلال).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (١٤٢١هـ =٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: ابن عثيمين، (بيروت: مؤسسة الرسالة).
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، (١٤١٨هـ = ١٩٩٧م)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس غنيم، ط١، (الرياض: دار الوطن).
- سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، (بيروت: دار الجيل).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، ط١، (لبنان: دار الفكر).
- السيوطي، جلال الدين، (١٣٨٤هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي).

- السيوطي، جلال الدين، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، (بيروت: مؤسسة الرسالة).
- الشمني، تقي الدين أحمد بن محمد، حاشية الشمني المسماة (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام)، (مصر: المطبعة البهية).
- الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب الخفاجي المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، (بيروت: دار صادر).
- الصايغ، محمد بن الحسن، (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م)، اللمحة في شرح الملحة، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، ط١، (المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية).
- الطبرسي، الفضل بن الحسن، (١٩٦١م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: دار مكتبة الحياة).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، (١٤٠٥هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، (بيروت: دار الفكر).
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٩٧م)، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع).
- عبد الباقي، محمد فؤاد، (١٣٦٤هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، (القاهرة: دار الكتب المصرية).
- عضيمة، د. محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث).
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي وشركاه).
- العكبري، أبو البقاء، (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م)، مسائل خلافية في النحو، تحقيق: محمد خير الحلواني، ط ١، (بيروت: دار الشرق العربي).

- الغرناطي، محمد بن أحمد بن محمد، (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م)، التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤، (لبنان: دار الكتاب العربي).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م)، الجمل في النحو، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط٥، (بيروت: مؤسسة الرسالة).
- د. قباوة، فخر الدين، (١٤٠٣هـ)، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ط٤، (بيروت: دار الآفاق الجديدة).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، (القاهرة: دار المعارف).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الشعب).
- القزويني، الخطيب، (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، ط٤، (بيروت: دار إحياء العلوم).
- القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي، (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار الكتب العلمي).
- القفطي، الوزير جمال الدين علي بن يوسف، (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م)، انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي).
- ابن قيس، عبيد الله الرقيات، (١٩٥٨م)، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق: محمد يوسف نجم، (بيروت: مطبعة دار صادر).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (١٤٠١هـ)، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الفكر).

- ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين، (١٤١٠هـ)، شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط١، (القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان).
- المرادي، بدر الدين حسن بن أم قاسم، (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ط١، (بيروت: دار صادر).
- النحاس، أبو جعفر أحمد، (١٤٠٩هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى).
- ابن هشام، جمال الدين بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير).
- ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، (القاهرة: مكتبة المتنبي).